﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: 281]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المَوْعِظَةُ بمَوْعودِ اللهِ وجَزائِهِ يَوْمَ القِيامَةِ بَعْدَ تَمامِ الأَوامِرِ والنَّواهي

لَمّا بَيَّنَ اللّه التزامَ الأُمورِ الشَّرْعيَّةِ في الإنْفاقِ، واجْتِنابَ المُعامَلاتِ الرِّبَويَّةِ، والإحْسانَ إلى المُعسِرينَ، أَنْهى ذَلِكَ إلى المَوْعِظَةِ بمَوْعودِ جَزائِهِ بتَقْوى يَوْمِ الرَّجْعَةِ، ليَقَعَ الخَتْمُ بأَجْمَلِ مَوْعِظَةٍ وأَشْمَلِها، وليَكونَ انْتِهاءُ الخِطابِ على تَرْهيبِ الأَنْفُسِ لِتَجْتَمِعَ عَزائِمُها على ما هو مَلاكُ أَمْرِها، من قَبولِ صَلاحِ دينِها ودُنْياها ومَعادِها؛ فتَرْكُ المَنْهيّاتِ وفِعْلُ المَطْلوباتِ يَرْجِعُ إلى اتِّقاءِ ذلِكَ اليَوْمِ الّذي تُطْلَبُ فيه السّلامَةُ[1]؛ لِذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وهي آخر آية أنزلت من القرآن على النّبيّ ﷺ، بتسع ليال قبل وفاته على خلاف في العدد، وهي تعقيبٌ حكيمٌ، يتناسب كلّ التّناسب مع جوّ المعاملات، والأخذ والعطاء، حتّى تعمّ الخشية، وتشيع التّقوى، فيبتعد النّاس عن كلّ معاملة لم يأذن بها الله جلّ في علاه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: الوِقايَةُ حِفْظُ الشَّيْءِ وصيانَتُهُ مِمّا يُؤْذيهِ ويَضُرُّهُ باتِّخاذِ حاجِزٍ دونَه، وأَصْلُ (وقى) يَدُلُّ على دَفْعِ شَيْءٍ عن شَيْءٍ بغَيْرِهِ، ومنهُ التَّقوى؛ وهيَ جَعْلُ النَّفْسِ في وِقايَةٍ مِمّا يُخاف، والمَعْنى هنا: اجْعَلوا لَكُمْ وِقايَةً تَقيكُمْ عَذابَ يَوْمٍ شَديدِ الهَوْلِ[3]، وقيل: وَاتَّقُوا أي وخافوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، قُرِئَ (بفتح التّاء) أي

(1) البِقاعيّ، نظْمُ الدُّرَرِ: 4/143، وابْنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/97.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 1/641.
(3) ابْنُ فارِس، مقاييسُ اللُّغة، الرّاغِب، المُفْردات، وابن منظور، لسان العرب، جبل، المُعْجمُ الإشْتِقاقيُّ: (وقى)، أبو زهرة، زهْرةُ التّفاسِير: 1/223.

تصيرون فيه إلى اللّه، وقُرئ (بضم التّاء) وفتح الجيم، أي تردّون فيه إلى اللّه[1].

2) ﴿تُوَفَّىٰ﴾: من أَوْفَى الرَّجُلَ حَقَّهُ ووَفّاهُ إيّاهُ أَيْ: أَكْمَلَه لَهُ وأَعْطاهُ وافيًا، والوافي الذي بَلَغَ التَّمامَ؛ يُقالُ: دِرْهَمٌ وافٍ، وكَيْلٌ وافٍ، وأَوْفَيْتُ الكَيْلَ والوَزْنَ، وأَصْلُ (وفى) يَدُلُّ على إكْمالٍ وإتْمام، والتَّوْفِيةُ نُمُوٌّ أَوْ زيادَةٌ، يَبْلُغُ بها الشَّيْءُ تَمام قِوامِه، والمَعْنى هنا: تُعْطَى الجَزاءَ وافيًا[2]، وخلاصة ذلك الاستيفاء، أنّ الكافر يستوفي حَسَنَاتِه في الدُّنْيَا، وَيستوفي سَيِّئَاته في نار الآخِرَة، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فيُوَفَّى حَسَنَاتِه في الآخِرَة، وَأَمَّا سَيِّئَاتُهُ فَإِنَّه يحتمل أن يَخْرُج مِنَ الدُّنْيَا، وقد ذَهَبَتْ سَيِّئَاتُهُ بِالْبَلاءِ وَالْعُقُوبَة، أو يَبْقَى عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِه شيءٌ، فَيرجعُ أمره إلى اللّه، يفعلُ فِيهِ مَا يَشَاء[3].

3) ﴿كَسَبَتْ﴾: من كَسَبَ الشَّيْءَ يَكْسِبُهُ إذا أَصابَهُ وحَصَّلَه، ومنهُ الكَسْبُ، وهوَ جَمْعُ الشَّيْءِ وتحْصيلُه، وأَصْلُ (كَسَبَ) يَدُلُّ على ابْتِغاءٍ وطَلَبٍ وإصابَةٍ، والمعنى هنا: ما يَتَحَرّاهُ الإنْسان مِمّا فيه اجْتِلابُ نَفْعٍ، وتَحْصيلُ حَظٍّ[4].

المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

التّحذير من الرّجعة إلى المصير، حيث تُستوفَى الأعمال بدقّةٍ وحُسن تقدير

واحذروا - أيّها النّاس - عذابَ يومٍ تعودون فيه جميعًا إلى اللّه، وتقومون بين يديه، ثُمّ تُعطى كُلّ نَفس جزاء ما عملت من خيرٍ أو شرٍّ، لا يُظلمون بنقص ثواب حسناتهم، ولا بزيادة العقوبة على سيِّئاتهم، قال ابن عبّاس: يريد: يجازون ثواب عملهم، ومعنى أنّهم ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾، أي لا يُنقصون من ثواب أعمالهم شيئا[5]،

(1) الخازن، لباب التّأويل: 1/213.
(2) الجوْهريّ، الصّحاح، ابْنُ منْظور، لِسانُ العرب، جبل، المُعْجمُ الاشْتِقاقيّ، والرّاغب، المُفْرداتُ: (وفى)، والكفويّ، الكُلّيات، ص: 322، والخضيري، السّراجُ في بيانِ غريبِ القرآن، ص: 120.
(3) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 2/420.
(4) ابْنُ سيده، المُحكم، الرّاغِب، المُفْردات، ابْنُ فارِس، مقاييسُ اللُّغة، جبل، المُعْجمُ الاشْتِقاقيُّ: (كسب).
(5) النّيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 1/515.

فاللهُ لا يُضيع أجر من أحسن، ولا يغفلُ سيّئة من أساء، وكلُّ شيْءٍ عندهُ بمقدار.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ المَجازِ المُرْسَلِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾:

تصويرُ شِدَّةِ ما في القيامةِ من أهْوالٍ وأحوالٍ

على تقديرِ حذفِ المفعولِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ يكونُ المعنى: (اتَّقوا العَذابَ يَوْمًا) أَوِ: (اتَّقوا ما فيه مِنَ الحِسابِ والعَذابِ)، وهو على هذا التَّقديرِ مَجازٌ مُرْسَلٌ بذِكْرِ الظَّرْفِ وهوَ المَحَلّ وإرادةِ المَظْروفِ وهوَ الحال، والدّاعي إليه المُبالَغَةُ بأَنَّ شِدَّةَ ما فيهِ بَلَغَتْ مَبْلَغًا بحَيْثُ سَرَتْ إلى الظَّرْفِ فيَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤْمَروا باتِّقاءِ اليَوْمِ، وإنْ كان الاتِّقاءُ من نَفْسِ اليَوْمِ ممّا لا يُمْكِن، لأنَّه آتٍ لا مَحالَةَ، ولا بُدَّ أَنْ يَراهُ أَهْلُ الجَنَّةِ والنّارِ جَميعًا، فعُلِمَ أَنَّ المُمْكِنَ المَقْدورَ اتِّقاءُ الحِسابِ والعَذابِ الواقِعَيْنِ فيهِ بالعَمَلِ الصّالِحِ[1].

أثرُ التَّذييلِ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ

جيءَ بقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ تَذْييلًا لِلْأَحْكامِ السّابِقَةِ؛ لأَنَّه صالِحٌ لِلتَّرْهيبِ مِنِ ارْتِكابِ ما نُهِيَ عنه والتَّرْغيبِ في فِعْلِ ما أُمِرَ به أَوْ نُدِبَ إليه، لِأَنَّ في تَرْكِ المَنْهيّاتِ سَلامَةً من آثامِها، وفي فِعْلِ المَطْلوباتِ اسْتِكْثارًا من ثَوابِها، والكُلُّ يَرْجِعُ إلى اتِّقاءِ ذَلِكَ اليَوْمِ الذي تُطْلَبُ فيهِ السَّلامَةُ[2].

سرُّ تَنْكيرِ لَفْظَةِ (يَوْمًا) في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾:

المُبالَغَةُ في تَفْخيمِ أهْوالِ القيامةِ

نُكِّرَ ﴿يَوْمًا﴾ لِلتَّفْخيمِ والمُبالَغَةِ في التَّحْذيرِ عَمّا يَقَعُ فيه مِنَ الأَهْوالِ والشَّدائِدِ التي يَشيبُ لَها الوِلْدان، وقَوَّى تَنْكيرَ ﴿يَوْمًا﴾ بدَلالَتِهِ على التَّفْخيمِ والتَّهْويلِ؛ تَعْليقُ الاتقاءِ به مُبالَغَةً في التَّحْذيرِ عمّا فيه مِنَ الشَّدائِدِ والأَهْوالِ[3].

---

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 3/494، والآلوسي، روحُ المعاني: 1/252، والقونويّ، حاشيةُ القونويِّ على البيضاوي: 3/270، والهرري، حدائِق الرّوْحِ والرّيْحانِ: 1/405.

(2) ابْنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/97.

(3) أبو السُّعود، إرْشادُ العقْلِ السّليمِ: 1/415، والآلوسي، روحُ المعاني: 2/53، والهرري، حدائِق الرّوْحِ والرّيْحانِ: 4/120.

توجيهُ القراءاتِ القُرآنيَّةِ:

الرُّجوعُ إلى الله حـاصِـلٌ قـسـرًا وإرادةً

بُنِيَ فعلُ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ لِلمَفْعولِ من الرَّجْعِ المُتَعَدّي[1]، أَيْ: تَصيرونَ فيهِ إلى اللَّهِ لِمُحاسَبَةِ أَعْمالِكُمْ، وهي قراءةُ الجمهور، وقرأَ أبو عمرو: ﴿تَرْجِعُونَ﴾[2] مِنَ الرُّجوعِ اللّازِمِ؛ والأَوَّلُ أَدْخَلُ في التَّهْويلِ[3]، على أَنَّ المُخاطَبَةَ بالتّاءِ في الآيَتَيْنِ تُفيدُ المُبالَغَةَ في الوَعظِ والتَّحْذيرِ[4].

معنى حرفِ التَّراخي في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾:

احتمالُ التَّراخي لمعنَيَيْه الزَّماني والرُّتْبي

التَّعْبيرُ بأَداةِ التَّراخي (ثُمَّ) في قَوْلِه: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾؛ للإِشارَةِ إلى طُولِ وُقوفِهِمْ ذَلِكَ المَوْقِفَ في مَقامِ الهَيْبَةِ، وتَمادي حَبْسِهِمْ في مَشْهَدِ الجَلالِ والعَظَمَةِ، فهو تراخٍ زمانيٌّ.

وقد تَكونُ للتَّراخي الرُّتبي الذي هو بمَعْنى "وَأَعْظَمُ من ذَلِكَ"، ويَكونُ التَّقْديرُ أَنَّ جَزاءَ الكاسِبِ لِلشَّرِّ وعُقوبَتَهُ أَشَدُّ وأَعْظَمُ من بَعْثِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ[5].

فائدةُ التَّعْميمِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾:

تـوريـثُ المهابةِ والحذَرِ من يومِ الجزاءِ

في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ مضافٌ محذوفٌ، والمعنى: تُعْطى كُلُّ نَفْسٍ مُكَلَّفَةٍ جَزاءَ ما عَمِلَتْ من خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ تامًّا وافيًا، أَوْ أَنَّهُ أُقيمَ المَكْسوبُ مَقامَ جَزائِهِ، وفي تَعْليقِ التَّوْفيَةِ بِكُلِّ مَكْسوبٍ من الدَّلالَةِ على فخامَةِ شَأْنِ اليَوْمِ والمُبالَغَةِ في بَيانِ فظاعَةِ حالِ الكاسِبِ للشَّرِّ كما لا يَخْفى؛ فإن كُلَّ كاسِبٍ مَجْزِيًّا بعَمَلِهِ لا يُنْقَصُ منه شَيْءٌ وإنْ كان جُرْمُهُ في غايةِ القِلَّةِ والحَقارَةِ[6]، فالتَّعميمُ لِلمُبالَغَةِ في تَهْويلِ اليَوْمِ[7].

---

(1) والرُّجوع، إنْ لمْ يتعدّ، فهو بمعْنى: العوْد، وإنْ تعدّى فبِمعْنى: الإعادةِ. وبعْضُ النّحويّين يقولُ: إنّها تُضمّنُ معْنى صار، ينظر: أبو حيّان، البحرُ المُحيط: 1/123.

(2) ابْنُ الجزريّ، النّشْرُ: 2/208.

(3) الآلوسي، روحُ المعاني: 2/53، وإسْماعيل حقّي، روحُ البيانِ: 1/439.

(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيزُ: 1/378، والسّمين، الدُّرُّ المصونُ: 2/649، والقِنّوْجيّ، فتْحُ البيانِ: 2/145.

(5) القونويّ، حاشيةُ القونويِّ على البيضاوي: 5/473، و للآلوسي تفصيلٌ جميلٌ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: 161] روحُ المعاني: 5/473.

(6) الآلوسي، روحُ المعاني: 2/323.

(7) أبو السُّعود، إرْشادُ العقْلِ السّليمِ: 1/415.

سرُّ العدولِ عن الإفرادِ إلى الجمعِ في قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

الجمْعُ أنسبُ بالجزاءِ، كما أنَّ الإفرادَ أنْسَبُ بالكسْبِ

جُمِع الضَّميرُ في قولِه تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، ولم يقُل: (وهي لا تُظلمُ)، أي: النَّفس؛ لأنَّ الجمعَ أَنْسَبُ بحالِ الجَزاءِ كما أَنَّ الإفْرادَ أَوْفقُ بحالِ الكَسْبِ[1]، والمعنى: أَنَّ هَؤلاءِ المُحاسَبينَ لَنْ يُظْلَموا عند اللهِ شَيْئًا ولَوْ كان يَسيرًا.

وقد جَمعَ اللهُ في هَذِهِ الآيَةِ خُلاصَةَ ما أَنْزَلَهُ في القُرآنِ وجَعَلَها خاتَمَ الوَحْيِ والإنْزالِ، كَما أَنَّهُ جَمعَ خُلاصَةَ ما أَنْزلَ مِنَ الكُتُبِ على الأَنْبياءِ في القرآن وجَعَلَهُ خاتم الكُتُبِ، كما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خاتَمُ الأَنْبياءِ عليهم السلام؛ وقد جَمعَ فيه أَخْلاقَ الأَنْبياءِ، وفائِدَتُها بالنِّسْبَةِ إلى الإنْسانِ عائِدَةٌ إلى مَعْنَيَين؛ أَحَدُهُما نَجاتُهُ مِنَ الدَّركاتِ السُّفْلى، وثانيهما فوْزُهُ بالدَّرجاتِ العُلْيا[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرُّجوع والإياب:

الإيابُ هو الرُّجوعُ إلى مُنْتهى المَقْصَدِ، والرُّجوع يَكونُ لِذلِكَ ولِغَيْرِهِ؛ فيُقالُ: رَجَعَ إلى بَعْضِ الطَّريقِ ولا يُقالُ: آبَ إلى بَعْضِ الطَّريقِ ولَكِنْ يُقالُ: رَجَعَ إلى مَنْزِلِهِ، ولِهذا قال أَهْلُ اللُّغَةِ: التَّأْويبُ أَنْ يَمْضيَ الرَّجُلُ في حاجَتِهِ ثُمَّ يَعودَ فيَتْبُتَ في مَنْزِلِهِ[3]، وهَذا يَدُلُّ على أَنَّ الإيابَ الرّجوعُ إلى مُنْتَهى القَصْدِ، ولِهذا قال تَعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾ [الغاشية: 25]، كان القيامَةُ مُنْتهى قَصْدِهِمْ، لِأَنَّها لا مَنْزِلَةَ بَعْدَها، ويقول البعض أنّ الإياب هو الرّجوع ذاته، دون التفات إلى الفرق الآنف، قال الشّاعر:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى *** كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيابِ المُسَافِرُ[4]

(1) أبو السُّعود، إرْشادُ العقْلِ السّليمِ: 1/268، والقِنّوْجيّ، فتْحُ البيانِ: 2/145.
(2) إسْماعيل حقّي، روحُ البيانِ: 1/439.
(3) العسْكريّ، الفُروقُ اللُّغوية: ص: 303.
(4) الأخفش الأوسط، معاني القرآن: 1/213.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»